الفصل السادس

الولاية .. والمعجزة والكرامة

● الولى : هو العبد الصالح المتحلى بهدى النبى ﷺ ، والذى يعمل بأحكام الشريعة المطهرة .. ويتأدب بآدابها فى اعتقاده وقوله وعمله .. فيعمل بما أمر الله به ، وينتهى عما نهى الله عنه .. ويوالى الله تعالى بالمراقبة والعبادة ، فيوالیه تعالى بالرعاية والحياطة ..

يقول تعالى : « **ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم** »[1] .

فأولياء الله تعالى وأنصاره وأحبابه .. لا خوف عليهم فى الآخرة ، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا .. لأنهم صدقوا الله ورسوله ، واتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .. فاستحقوا من الله البشارة فى الدنيا بالرؤيا الصالحة .. وتبشير الملائكة لهم عند قبض أرواحهم برحمة الله ورضـــوانه ، وتبشيرهم لهم فى قبورهم حيث يبشرون برضوان الله عند سؤال الملكين لهم .. كما ينعمون بالجنة التى أعدها الله لهم .. وهذا هو الفوز العظيم .. اذ لا خلف لوعد الله ولا تغيير ..

فالولى ــ والله أعلم ــ هو المؤمن المتقى لله ، فكل مؤمن تقى هو ولى لله تعالى .. وفى الحديث : « ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » .. قالوا : يارسول الله ، أخبرنا من هم وما أعمالهم ؟ قال : « هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها .. فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور .. لا يخافون اذا خاف

---

(١) يونس : ٦٢ ــ ٦٤

الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس » .. ثم قرأ الآية :« **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »[٢] .

وللولى — كما يقول القشيرى[٣] — معنيان : أحدهما (فعيل) بمعنى (مفعول) وهو من يتولى الله سبحانه أمره . قال تعالى : « **وهو يتولى الصالحين** »[٤] ..

والثانى : (فعيل) مبالغة من (الفاعل) .. وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته .. فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ..

وكلا الوصفين واجب .. وحتى يكون المولى وليا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء .. ودوام حفظ الله تعالى اياه فى السراء والضراء ..

ومن شرط الولى .. أن يكون محفوظا .. كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما .. فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع ..

روى سعيد بن جبير — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ سئل : من أولياء الله ؟ فقال : « الذين يذكر الله برؤيتهم » ..

ووصفهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : « أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر .. عمش العيون من العبر .. خمص البطون من الجوع .. يبس الشفاه من الذوى »[٥] .

فالعبد متى كان مخلصا لله تعالى ، عاملا بدينه ، وداعيا الى العمل بالشرع .. فهو الولى .. فلقد حدد الله تعالى صفات الأولياء بأنهم : « **الذين آمنوا وكانوا يتقون** » .. ووصفهم فى الحديث القدسى بأنهم انما وصلوا الى مكانتهم عند الله تعالى بأداء الفرائض والاكثار من النوافل ..

---

(٢) انظر : تفسير الطبرى جـ ١١ ، ص ١٣٢
(٣) فى الرسالة القشيرية ص ١١٧
(٤) الأعراف : ١٩٦ (٥) اى الذبول .

وفسر معنى التقوى المطلوبة .. بأنهم أخضعوا جوارحهم كلها من أعين وأرجل وأفئدة وألسن لله تعالى .. فلا يبصرون ولا يسمعون ولا يمشون ولا يفكرون ولا يتكلمون .. الا فيما يرضيه تعالى ويتفق مع شرعه وهداه ..

ولهذا فهو سبحانه يتكفل بهم ، ويتوعد من يقدم على ايذائهم — بأى نوع من الأذى — بأنه قد استحل محاربة الله تعالى وعرض نفسه لهذه المحاربة .

يقول تعالى فى الحديث القدسى : « من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى ، وما تقرب الى عبدى بمثل أداء الفرائض .. وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه .. فاذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها ، وأذنه التى يسمع بها ، ورجله التى يمشى بها ، وفؤاده الذى يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به .. ان سألنى أعطيته ، وان دعانى أجبته »[٦] .

فالمؤمن المتقى لله .. انما يتقرب الى ربه بأداء الفرائض التى افترضها عليه .. ولا يزال يتقرب الى الله بالنوافل حتى يحبه الله تعالى .. فاذا ما أحبه الله عصمه من الفتن ونجاه من كيد الشيطان .. فلا تبصر عينه الا ما يرضى الله .. ولا يستمع الا لما يحبه الله .. ولا يمشى الا فى طاعة الله .. ولا يشغل عقله الا طاعة الله .. ولا يتكلم لسانه الا فى مرضاة الله ..

ولهذا .. فان العبد المتقى لربه .. اذا سأله أعطاه ، واذا دعاه أجابه .. يسالم من يسالمه ويعادى من يعاديه .. فهو فى حفظ من الله تعالى فى الدنيا والآخرة ..

يقول البخارى فى رواية له عن أبى هريرة رضى الله عنه : « من أهان لى وليا فقد بارزته بالمحاربة » ..

---

(٦) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ..

ويقول الحسن البصرى : ابن آدم .. هل لك بمحاربة الله من طاقة ؟ .. فان من عصى الله فقد حاربه ، وكلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد ..

ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله ، لعظم ظلمهم لعباده ، وسعيهم بالفساد فى بلاده ..

وكذا معاداة أوليائه ، فانه تعالى يتولى نصرة أوليائه ويحبهم ويؤيدهم .. فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه ، وتعرض لهلاك نفسه ..

وروى الترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الله الله فى أصحابى .. لا تتخذوهم غرضا ، فمن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » .

ويقول فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى[٧] : ان الولى هو « من آمن بالله واتقى .. ولما كان الايمان والتقوى درجات .. كانت الولاية تختلف باختلاف عمل صاحبها .. والله تعالى يقول : **« ولكل درجات مما عملوا »**[٨] .

ودليل أن الولى هو من آمن واتقى هو قوله تعالى : **« ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون »**[٩] .

ولا يشترط فى الولى كرامة ، وانما يشترط فيه الاستقامة ..

وهناك فرق بين الكرامة والاستقامة .. بل كلما زادت الولاية كلما ستر الله كرامات صاحبها حتى لا يفتن بنفسه ، أو يفتتن الناس به ..

وهناك لله أولياء مستورون عن الناس .. بل ان هناك أولياء ستروا عن أنفسهم .. حتى أن أبا بكر — رضى الله عنه — اذا حسبت كراماته من يوم أن أسلم الى أن مات فلن تجد له عشر معشار ما ينسبه الضالون الى المجهولين ..

---

(٧) الرئيس العام للجمعيات الشرعية فى مصر ..
(٨) الأنعام : ١٣٢ ، الأحقاف : ١٩
(٩) يونس : ٦٢ ، ٦٣

اذن .. لا يشترط فى الولى الكرامة .. والعلماء قالوا : ان الولى الحقيقى يستحى من ظهور الكرامة كما تستحى البنت من ظهور حيضها ..

ولابد من العلم أنه لا يوجد فى الدنيا ولى حقيقى تهدر على يده أوامر الشرع .. فلا بد لشرع الله أن يحترم .. وليس هناك دين فى الباطن ودين فى الظاهر .. ومن يقول هـذا فهو يتهم الله ورسوله ..

فالخلاصة — اذن — أن الولى من جمع بين الايمان والتقوى ، ولا يشترط فيه الكرامة ، بل يشترط فيه الاستقامة ..

وقد تقع منه المعصية .. ولكن يستحيل فى حقه استمرار المعصية ، والفرق بينه وبين النبى أن النبى معصوم ، والولى محفوظ .. ولا يحق لنا أن نطلق كلمة الولاية على أحد الا ببرهان من الله ..

ومعنى كلمة ولى .. أن الله تولاه بالتوفيق لتوليه هو أوامر الله بالعمل والتنفيذ ..

اذن .. الولاية متبادلة ، فمن لا يتولى الله فان الله لا يتولاه .. ومن لم يرض عن الله لا يرضى الله عنه — أى لا يرضى عن شرائع الله ، فلا يرضى الله عنه ..

وهناك فرق بين الولاية والأولياء .. فكل مؤمن متق له حظ من الولاية على قدر ايمانه وتقواه .. ولما كانت أسرار الناس بينهم وبين الله تعالى ولا نعلم حقيقتها فلندع هـذا الأمر يتولاه هو .. فنقبل الظاهر ونكل السرائر لله .. فلا نقرر أن فلانا ولى ، ولكن يمكن أن نقول : أحسبه عند الله صالحا ولا نزكى على الله أحدا ..

لأن أى انسان مهما كان تقيا نقيا .. لا تستطيع أن تجزم أنت بما مات عليه .. بدليل أن أم حارثة — وقد استشهد ابنها — قالت وهى تقاب جثته وتصبر قلبها المحترق : هنيئاً لك .. عصفور من عصافير الجنة .. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « من هـذه المتألية على الله » ؟ .. فقيل : أمه .. فقال : « ياأم حارثة ، انى لأرجو لابنك الخير .. ولكن أنا رسول الله ولا أدرى ما يفعل بى » !! .. ثم قال : « لعله كان يتكلم بما لا يعنيه .. أو يمنع ما لا ينفعه » ..

وفى ذلك يقول الله تعالى : « **قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، ان أتبع الا ما يوحى الى** »(١٠) .

وقيل مرة لابن عمر : ما دمت حيا فالاسلام بخير .. فقال : « ويلك ياهذا ، أتدرى علام أغلق باب بيتى » ؟

فلا يصح منا أن نقول ان فلانا ولى الا بنص قرآنى ، أو بحديث لرسول الله ﷺ ، مثل السيدة مريم ، ومؤمن آل فرعون ، وأصحاب الكهف ، والحسن والحسين رضى الله عنهم ..

أما غير ذلك .. فيعتبر تألياً على الله ، والوصف بالولاية شىء ، والاستعانة بها من دون الناس شىء آخر ، فهذا شرك .. بل رسل الله — وهم أشرف الخلق — لا يصح الاستعانة بهم رغبة أو رهبة »(١١) ..

* * *

● والمعجزة فى أصل معناها اللغوى — مشتقة من العجز ، وهو عدم القدرة على أمر من الأمور .. ويطلقها علماء الشريعة على الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله تعالى على يد نبى مرسل ، لتقوم دليلا على صدق دعوته .. وبرهانا على حقية رسالته ..

ولقد جرت سنة الله — سبحانه — أن يؤيد كل رسول من رسله بمعجزة خارقة للعادة ، وخارجة عن حدود المألوف للناس ، حتى يحمل المعاندين المكابرين على الايمان بهم ، والاذعان لهم ، والتسليم بكل ما جاءوا به من هداية وارشاد ..

كان النبى يبعث فى قومه فيصدع بالدعوة الى الله ، فيستجيب له من شرح الله صدره لدعوته ، ويكذب به من جعلوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا صيحة النداء التى تنادى عليهم : أن هبوا من رقدتكم ، وأفيقوا من غفلتكم .. وتحرروا من قيود شهواتكم وأهوائكم ..

---

(١٠) الأحقاف : ٩

(١١) هذه دعوتنا ، للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ، ط الاعتصام ، ص ٢٥٢— ٢٥٤ بتصرف ..

ويتمادى المكذبون فى المكابرة والعناد .. فاذا بهم يرمون أنبيائهم — بعد الكذب — بالسحر تارة ، وبالجنون أخرى[١٢] ..

« قالوا كل ذلك وأكثر منه فى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .. وطالبوهم بالآيات الدالات على صدق رسالاتهم .. فما كان من الأنبياء الا أن لجأوا الى الله سبحانه ، يطلبون منه أن يؤيدهم بالآيات من عنده ، فاستجاب لهم ربهم ، وأظهر على أيديهم من المعجزات ما يشهد لهم بصدق دعوتهم ..

« وتحدى الأنبيـــاء أقوامهم أن يأتوا بمثل ما أتى الله به على أيديهم من خوارق العادات ، فعجزوا كل العجز .. وكان نتيجة ذلك أن آمن بهم العقلاء ، واســتمر متشبثا بالكفر الحمقى من الجهــلاء والســفهاء !!

« وشاءت حكمة الله تعالى .. أن تكون معجزة كل نبى من جنس ما برع فيه قومه ، لتكون أبلغ فى التحدى ، وليكون العجز عن معارضتها أبلغ فى الدلالة على كونها آية من عند الله على صدق من ظهرت على يده من الأنبياء »[١٣] .

ومن شرط المعجزة أن تكون مبنية على الظهور والاعلان .. لأنها حجة الأنبياء على دعوى النبوة ، فلا بد من اظهارها واعلانها صريحة جلية أمام المكذبين الجاحدين حتى يسلموا لأنبيائهم ويدخلوا فى دينهم .. كما يجوز أن تقع بجميع خوارق العادات .. مهما بدت هذه الخوارق غريبة ومستبعدة ..

ومن أدلتها فى القــرآن الكــريم .. قوله تعــالى عن موسى عليه الســلام : **« فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين »**[١٤] .

---

(١٢) الوحى والقرآن الكريم ، للشيخ محمد حسين الذهبى ، ص ٢٠
(١٣) المرجع السابق ، ص ٢١ (١٤) الأعراف : ١٠٧ ، ١٠٨

وقوله على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام : « **ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم** »(١٥) .

وقوله عن الرسول الخاتم ﷺ : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير** »(١٦) .

ولقد كان القرآن الكريم .. هو المعجزة الكبرى الخالدة والباقية الى يوم القيامة لنبينا ﷺ .. يقول تعالى : « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** »(١٧) .

● أما الكرامة .. فهى أمر خارق للعادة أيضا — بيد أنه غير مقرون بدعوى النبوة — يظهره الله تعالى على يد عبد صالح ، متحل بهدى النبى ﷺ ، عامل بأحكام الشريعة المطهرة ومتأدب بآدابها فى اعتقاده وقوله وعمله .. وهى — شأنها شأن المعجزة — ثابتة عند جماهير العلماء خلفا وسلفا ..

ولا يشترط فى الكرامة الظهور والاعلان .. لأنها مبنية على الاخفاء والاسرار ، وما يظهر منها لا يكون عن قصد للولى أو ادعاء منه للكرامة .. فكثيرا ما تظهر الكرامة على يد ولى فيشعر بها من حوله دون أن يشعر هو بها .. ولو أن وليا ادعى لنفسه الكرامة على الله حتى انه ليطلب منه الأمر الخارق للعادة فيجاب اليه ، لخرج من عداد الأولياء ، ولعد فى زمرة الأفاكين الأدعياء ..

كما أن الكرامة .. تختص ببعض خوارق العادات دون بعض ..

---

(١٥) آل عمران : ٤٩ (١٦) الاسراء : ١
(١٧) الاسراء : ٨٨

فهى تتعلق — عادة — بالخوارق التى لا تبلغ حد المعجزة من الغرابة والاستبعاد ..

ويقول القشيرى : « ظهور الكرامات على الأولياء جائز .. والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه فى العقل ، لا يؤدى حصوله الى رفع أصل من الأصول .. فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على ايجاده .. واذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شىء يمنع جواز حصوله ..

« وظهور الكرامات .. علامة صدق من ظهرت عليه فى أحواله .. فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز .. والذى يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه أيانا حتى نفرق بين من كان صادقا فى أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم .. ولا يكون ذلك الا باختصاص الولى بما لا يوجد مع المفترى فى دعواه .. وذلك الأمر هو الكرامة التى أشرنا اليها ..

ولابد أن تكون هـذه الكرامة فعلا ناقضا للعادة فى أيام التكليف .. ظاهرا على موصوف بالولاية فى معنى تصديقه فى حاله »[١٨].

ومن أدلة الكرامة .. ما ذكره الله تعالى فى شأن مريم ابنه عمران .. قال تعالى : **« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يامريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »**[١٩] .

يقول الامام القرطبى : كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى القيظ ، وفاكهة القيظ فى الشتاء ..

ويقول جل شأنه : **« وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا »**[٢٠] .

قيل : كان جذع النخلة يابسا .. وقيل : كانت نخلة مثمرة ..

والصحيح : أن النخلة لم تكن مثمرة اذ ذاك .. لأن ميلاد المسيح عليه السلام كان فى زمن الشتاء ، وليس ذاك وقت ثمر النخل .. ويفهم

---

(١٨) الرسالة القشيرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٨

(١٩) آل عمران : ٣٧ (٢٠) مريم : ٢٥ ، ٢٦

ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان : « **تساقط عليك رطبا جنيا** » ..

ومن الأدلة على وقوع الكرامة .. ما أكرم الله تعالى به أبا بكر الصديق رضى الله عنه .. من تكثير طعامه أمام أضيافه حتى أكلوا جميعا على كثرتهم .. وبقى الطعام أكثر مما كان ..

ومنها ما أكرم به عمـر بن الخطاب رضى الله عنه بتحقيق كل ما ألهمه وظنه ..

ومنها ما أكرم به سعيد بن زيد رضى الله عنه .. حين استجاب دعاءه على أروى بنت أوس ، لمـا ادعت عليه أمام مروان بن الحكم زورا فى أرض ادعت أنه اغتصبها ..

ومن الأدلة .. ما أكرم الله تعالى به جريجا العابد بنطق الطفل الرضيع ، وتبرئته من جريمة الزنا ..

ومنها .. ما أكرم الله به الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة حين توسلوا اليه بأعمالهم الصالحة .. الخ .

ولا يمنع العقل امكان حدوث المعجزة أو الكرامة .. ما دام الذى يجريهما هو الله تعالى على أيدى أنبيائه وأوليائه .. بل ان من ينكر المعجزة للنبى ، والكرامة للولى يعد كافرا والعياذ بالله ..

* * *

● ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى[٢١] : « ... والعقل يقول انه لابد لحدوث الأسباب من مسببات .. ولكن بعض الناس قالوا بضعف الصلة وانقطاعها بين الأسباب والمسببات ..

فقد توجد النار ولا يوجد الاحراق .. وقد يوجد المـاء ولا يوجد الرى .. وقد توجد السكين ولا يوجد القطع ..

وأن الواجبات العادية قد تتخلف ..

وأن قانون السببية على الاجمال .. غير ملزم ولا مطرد ..

---

(٢١) فى كتابه : الدعوة الاسـلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، نشر مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ ، ص ٧٠ ، ٧١ بتصرف .

والذين نادوا بهذا الرأى — من علماء الكلام — أرادوا به الرد على بعض الفلسفات الاغريقية التى تجعل الأسباب خالقة .. وتنسب الى الطبائع ما يقع هنا وهناك .. واليونانيون يقولون بأن الطبيعة تخلق ، وأن السبب — من ذاته — يفعل ، كلام لا وزن له ولا دليل عليه ..

غير أن الرد على هـذه الأفكار لا يكون بنفى ما أودع الله فى الأشياء من الخواص ، وما ناطه بها من الآثار .. فان الأسباب — بقدر الله فيها — تؤتى نتائجها حتما ..

أما خوارق العادات .. فلها شأن آخر وتعليلات فوق المعارف المعتادة .. وهى — اذا صدقت — شذوذ يؤكد القاعدة ولا يمسخها ..

ولهذا رأينا — خصوصا فى القرون المتأخرة — من يجعل الدنيا لا تضبطها قاعدة ولا يحكمها قانون ..

ومن المقبول شرعا — عندهم — أن يتزوج رجل فى المشرق بامرأة فى المغرب ، وأن تلد منه على بعد الشقة .. لأنه قد يكون من أهل الخطوة (!!) .. أى ربما انتقل من المحيط الهندى الى الأطلسى فى لحظة ما من ليل أو نهار !!

وهذا التصور المخبول — كما يقول الشيخ الغزالى — لا ينضج معه علم ولا يصح فيه بحث ، ولا يملك أصحابه الأدوات التى يحققون بها نجاحا عمليا فى هذه الحياة ..

والمقرر فى العلوم الكونية والتجريبية والانسـانية وغيرها .. أن قانون السببية محترم وأن رفضه جنون ..

والغريب — كما يقرر فضيلته — أن كتابات دينية كثيرة ، جعلت الولاية مقرونة بخرق العادة !!

ولمـا كان فى كل قرية شيخ مشهور بالصلاح ، ولمـا كان لا يخلو زمان من هؤلاء الأشياخ العظام !! ، ولمـا كان خرق العادة يقع منهم أحياء وأمواتا ، بطريقة يعتبر انكارها — فى زعمهم — جرما .. لمـا كان ذلك كذلك .. فان سريان الخوارق زحم العالم الاسـلامى ، وجعل قانون السببية لغوا !!

وكان لذلك .. أثر محزن فى انهيار حضارتنا ، واختلال ثقافتنا ..
وقد تدارك العلماء هـذا العوج .. وألفوا الرسائل فى دعم قانون السببية وضرورة احترامه .. والشيء الذى نقف عنده قليـلا . . هو هوس بعض الكاتبين فى اثبات الولايات وخوارقها .. وكأن الرسالة الاسلامية ما جاءت الا لاثبات هـذه القضية !!

والذى بدا لى — والحديث للشيخ الغزالى — أن هـذا الهوس يرجع الى التعلق بغير الله تعالى .. ودعاء المقبورين لعمل العجائب .. فاذا قلت : رجل مات ، ما تنتظرون منه ؟ قيل : انه — حيا أو ميتـاً — يفعل بقدر الله ، فالتعلق به لا ينكر !!
فاذا اعترضت .. جاء الاتهام السريع : أتنكر كرامات الأولياء » ؟ !

* * *

● ويقول صاحب « الفتاوى الأمينية » فى حديثه عن الكرامة :
« ... ولا مانع أن يكرم الله تعالى الولى بأنواع من الكرامات .. ويخصه بما يشاء من الفضائل والخيرات .. فيتولاه بحفظه ، ويجرى الخير على يديه ، ويجيب دعاءه ، ويشفى الله بدعائه المرضى ، ويبارك فيما يضع فيه يده من طعام أو شراب ..

وبذلك .. يعلم بطلان ما يتحـدث به جهلة المتصـوفة وخدمة الأضرحة ، من الأباطيل والخرافات التى أغروا بها العامة ، وألهوهم عن العمل بدين الله ، ليملأوا بطونهم من صناديق النذور الباطلة .. ويستبيحوا لأنفسـهم فرض العـوائد على من يخدع بباطلهم ويقع فى فخهم !!

ومن ذلك قولهم : ان الشيخ فلاناً من الأبدال ، وأن له أربعين جسماً ، فلا لوم عليه اذا ارتكب الكبائر وترك الفرائض !!

وقولهم : ان الشيخ من أهل الحقيقة .. فيكفيه ما لـه من الكرامات عن العمل بأحكام الشريعة !! ..

وغير ذلك كثير من الأباطيل التى يقصد منها الارتزاق وكسب العيش من طريق سهل ..

ومنه يعلم .. أنه ليس من الكرامة فى شىء ما يظهـره الحواة والسحرة والمشعوذون من الأمور الخارقة للعادة .. فان ذلك ليس من الدين ؛ والدين منه براء ..

والطامة الكبرى ـ كما يقول الشيخ أمين محمود خطاب ـ اعتقاد كثير ممن ينتسبون للعلم فيهم والتبرك بهم ، معتقدين فيهم الولاية .. نعـوذ بالله من العمى والضلال .. ونسأله تعالى السـلامة والوقاية »[٢٢] .

* * *

● ونقول : الولى ـ اذن ـ هو العبد الصالح المتحلى بهدى النبى ﷺ ، والذى يعمل بأحكام الشريعة المطهرة .. ويتأدب بآدابها فى اعتقاده وقوله وعمله .. فيعمل بما أمر الله به ، وينتهى عما نهى عنه ، وهو الذى يوالى الله بالمراقبة ، فيواليه تعالى بالرعاية والحياطة ..

والمعجزة .. هى أمر خارق للعادة ، يظهره الله تعالى على يد نبى من أنبيائه تأييدا لنبوته ؛ ويعجز البشر عن أن يأتوا بمثله ..

والكرامة .. هى أمر خارق للعادة أيضا .. غير أنه غير مقرون بدعوى النبوة ، ويظهره الله تعالى على يد عبد صالح .. متحل بهدى النبى ﷺ .. عامل بأحكام الشريعة المطهرة ومتأدب بآدابها فى اعتقاده ، وقوله ، وعمله .. ولا يشترط فيها الظهور كالمعجزة .. بل ان الولى الحقيقى يستحى من اظهار الكرامة ، كما تستحى العذراء من ظهور حيضها .. وهو القول الذى سـبق أن سـقناه فى تعريف الولاية والكرامة والمعجزة ..

وليس من الولاية أو الكرامة .. ما يدعيه بعض الجهال مما يحيل العقل امكان وقوعه : من القدرة على احياء الموتى ، أو سلب الايمان عن المعترضين ، أو التصرف فى أمور الناس بالاحيـاء والاماتة .. واحالتهم الى مسوخ أو حيوانات !!

---

(٢٢) الفتاوى الأمينية ، للشيخ أمين محمود خطاب ، ج ١ ، ص ٢٠

ليس من الولاية أو الكرامة : المشى على المـــاء ، أو الطيران فى الهواء .. أو تحويل التراب الى ذهب !!

وليس من الولاية أو الكرامة : ادعاء العلم بالغيب ، أو الاطلاع على اللوح المحفوظ ، أو معرفة الأتباع والمريدين منذ كانوا فى عالم الذر .. أو الاخبار بما يقع فى مستقبل الزمان !!

ليس من الولاية أو الكرامة : تقلب الولى وتشكله .. فتارة تراه جنديا ، وتارة أسدا ، وأخرى فيلا .. ثم تنظر اليه فتراه صبيا !!

ليس من الولاية أو الكرامة : الصلاة بغير وضوء ، أو التدلهر فى مســـاقى الكلاب والتمرغ فى مبارك الحمير .. أو حشد الحوانيت والمتاجر بجثث الكلاب والقطط والخراف النافقة !!

وأخيرا .. ليس من الولاية أو الكرامة : التعرى للنســـاء عند خطبتهن ، أو مراودة النســـاء والمردان ، والتمليس على أردافهم ولو كانوا بحضرة آبائهم ، أو كانوا من أبناء الأمراء أو الوزراء !!

هـــذه المزاعم والأباطيل — وأمثالها كثير جدا[٢٣] — ليست من الولاية أو الكرامة فى شىء .. بل انها تسىء الى مفهوم الولاية والكرامة — عند الصوفية — بنفس القدر الذى تسىء به الى التصوف نفسه !!

فلماذا ندع الحق الواضح والطريق المستقيم ، ونلجأ الى اصطناع الخرافات ، واختلاق المزاعم والأباطيل ؟ !

* * *

● عقيدة الصوفية فى الولاية والكرامة :

يزعم الصوفيون ، أن للأولياء حكومة باطنة ، يتوقف عليها نظام العالم .. ويطلقون على هـــذه الحكومة اسم « الديوان » !!

والقطب .. هو رأس هذه الحكومة الأعلى ، واليه رئاسة الاجتماعات التى يعقدها فى انتظام مجلس شوراه الموقر !!

---

(٢٣) راجع كمثال لهذه الخرافات والمزاعم : كتاب « الطبقات الكبرى » للشعرانى ، وانظر كتابنا : « من وصايا القرآن الكريم » ، ص ٤٢١ — ٤٤١ ، حيث أوردنا نماذج لهذه الأباطيل والمزاعم ..

ولا يعوق أعضاء هذا المجلس حواجز الزمان أو المكان .. وانما يأتون من أرجاء الأرض فى لمحة طرف ، ويعبرون البحـــار والجبال والصحارى فى يسر بالغ !!

ودون ذلك القطب ، درجات مختلفة من الأولياء .. فالنقباء ثلاثة ، والأوتاد أربعة ، والأبرار سبعة ، والأبدال أربعون ، والأخيار ثلاثمائة .. ويعرف الواحد من هؤلاء الآخر ، ولا يعمل واحد منهم الا برضا الباقين !!

والأوتاد .. يطوفون حول الأرض جميعاً فى كل ليلة .. فان كان هناك مكان لم تقع عليه أعينهم ، بدت فيه فى اليوم التالى شـــائبة نقص .. فيخبرون القطب حتى يجعل همه الى ذلك المكان المشوب ، فيبرأ مما أصابه بفضل ذلك القطب !!

أرأيت مثل هذا الخيال ؟ !

يقول الدباغ : « الديوان يكون بغار حراء .. فيجلس الغوث خارج الغار ، ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى .. وأربعة أقطاب عن يمينه ، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس .. وثلاثة أقطاب عن يساره ، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة .. والوكيل أمامه ، ويسمى قاضى الديوان .. ومع الوكيل يتكلم الغوث !!

« والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث .. وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته !!

« ويحضر الديوان النساء . وصفوفهن ثلاثة .. ويحضره بعض الكمل من الأموات ويكونون فى الصفوف مع الأحيـــاء .. والأموات حاضرون فى الديوان ينزلون اليه من البرزخ ، يطيرون طيرا بطيران الروح .. وتحضره الملائكة والجن .. وبعض الأحيان يحضره النبى ، وكلامه مع الغوث !!

« وأما ساعة الديوان .. فهى الساعة التى ولد فيها النبى .. والأنبياء يحضرونه فى ليلة واحدة هى ليلة القدر .. فيحضره فى تلك

الليلة الأنبياء والمرسلون .. ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين .. ويحضره سيد الوجود ومعه أزواجه الطاهرات !!

« ولغة أهل الديوان هى السريانية لاختصارها ، ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة ، والسريانية هى لغتهم .. والصغير من الأولياء يحضره بذاته !!

« وأما القطب الكبير ، فلا تحجير عليه .. فانه يدبر على رأسه ، فيحضره ولا يغيب عن داره .. لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور ، ولكمال روحه تدبر له ان شاء ثلثمائة وستة وستين ذاتا !!

« وقد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره .. فيحصل بين أولياء الله من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم .. فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضا !!

« واذا حضر سيد الوجود مع غيبة الغوث ، فانه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين وفاطمة .. وتجلس فاطمة مع جماعة النسوة اللاتى يحضرن الديوان !!

« وأهل الديوان اذا اجتمعوا فيه .. اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت الى مثله من الغد .. فهم يتكلمون فى قضاء الله تعالى فى اليوم المستقبل والليلة التى تليه .. ولهم التصرف فى العوالم كلها السفلية والعلوية ، وحتى فى الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفى أهله ، وفى خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم .. فلا يهجس فى خاطر واحد منهم شىء الا باذن أهل التصرف .. واذا كان هذا فى عالم الرقا الذى فوق الحجب السبعين التى هى فوق العرش ، فما بالك بغيره من العوالم !!

« ويكون الديوان فى موضع آخر غير غار حراء مرة فى العام .. فى موضع يقال له « زاوية أسا » خارج أرض سوس ، بينها وبين أرض غرب السودان .. فيحضره أولياء السودان ويجتمعون فى غير هذين الموضعين السابقين ، لأن الأرض لا تطيقهم »[٢٤] !!

---

(٢٤) الابريز للدباغ ، ج ٢ ، ص ٢ — ٩ بتصرف .

ويقول المستشرق الانجليزى « ادوارد لين »[٢٥] : « ... ويعتقد أن سطح الكعبة مركز القطب الرئيسى ، ويفضل مركزا آخر بباب القاهرة المسمى « باب زويلة » — الذى يسميه العامة « بوابة المتولى » — لاعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول !!

« ومن وراء مصراعى الباب العظيم الذى لا يقفل أبدا ، فضاء صغير .. يقال انه مكان القطب ، ويدق المصابون بالصداع مسمارا فى الباب لفك السحر .. كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سنا ويولوجونها فى أحد شقوق الباب !!

« وللقطب فى مصر مراكز أخرى أقل شهرة .. أحدها فى قبر السيد البدوى ، والآخر فى مدينة المحلة .. ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة الى القاهرة أو من مكان الى آخر فى لحظة .. ويرى الكثير من المسلمين أن الياس — ويخلطه العامة بالخضر — كان قطب زمانه .. وأنه يولى الأقطاب المتعاقبين اذ يقررون أنه لم يمت .. ويزعمون أنه شرب من عين الحياة .. ويكلف بعض الأولياء القيام ببعض الأعمال الشاقة ، ويقال لهم : « أصحاب الدرك » ..

هذا ما يقوله المستشرق الانجليزى .. الذى جاء الى مصر فى القرن التاسع عشر ، وتصوف وأخذ العهد .. ثم راح يسجل الخزى الخرافى لا على الصوفيين وحدهم .. بل على المصريين عامة .. فانظر كيف جنى التصوف على مصر وعلى الاسلام ؟ !

● والقطب عند الصوفيين .. هو أكمل انسان متمكن فى مقام الفردية ، أو الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض فى كل زمان .. وعليه تدور أحوال الخلق .. وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد ، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل .. وقد يسمى « الغوث » باعتبار التجاء الملهوف اليه ..

والقطب عند الصوفية نوعان : أحدهما حادث أو حسى .. وهو

---

(٢٥) فى كتابه « المصريون المحدثون » ص ١٦٣

ما سبق الحديث عنه •• والآخر •• قديم أو معنوى •• وهو الحقيقة المحمدية [٢٦] !!

يقول القاشانى : « وهو — أى القطب — اما قطب بالنسبة الى ما فى عالم الشهادة من المخلوقات •• يستخلف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه •• أو قطب بالنسبة الى جميع المخلوقات فى عالم الغيب والشهادة ، ولا يستخلف بدلا من الأبدال ، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق •• وهو قطب الأقطاب المتعاقبة فى عالم الشهادة •• لا يسبقه قطب ، ولا يخلف آخر •• وهو الروح المصطفوى المخاطب بقوله : « لولاك لما خلقت الكون »[٢٧] !!

ويقول النيجانى : « أن حقيقة القبطانية •• هى الخلافة العظمى عن الحق مطلقا فى جميع الوجود ، جملة وتفصيلا •• حيثما كان الرب الها كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه من كل من له عليه ألوهية لله تعالى •• فلا يصل الى الخلق شىء كائناً ما كان من الحق الا بحكم القطب !!

« ثم قيامه فى الوجود بروحانيته فى كل ذرة من ذرات الوجود •• فترى الكون كله أشباحا لا حركة لها •• وانما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا !!

« ثم تصرفه فى مراتب الأولياء •• فلا تكون مرتبة فى الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه •• فهو المتصرف فى جميعها ، والمد لأربابها •• به يرحم الوجود ، وبه يبقى الوجود •• وفى بقاء الوجود رحمة لكل العباد •• وجوده فى الوجود حياة لروحه الكلية ، وتنفس يمد الله به العلوية والسفلية •• ذاته مرآة مجردة ، يشهد فيها كل قاصد مقصده »[٢٨] !!

---

(٢٦) هذه هى الصوفية ، للأستاذ عن الرحمن الوكيل ، ص ١٢٤

(٢٧) كشف الوجوه الغر ، للقاشانى ، ج ٢ ، ص ١٠٣

(٢٨) جواهر المعانى ، لعلى بن حرازم ، ج ٢ ، ص ٨١

ويقول : « ومما أكرم الله به قطب الأقطاب : أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون وما وراءه ، وما لا نهاية له .. وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات ، وأن يخصصه بأسرار دائرة الاحاطة .. وجميع فيوضه وما احتوى عليه »[٢٩] !!

كما يقول : « قطب الأقطاب فى كل وقت لا تقع بينه وبين الرسول حجابية أصلا .. وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة .. الا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر اليه .. لا يحتجب عنه فى كل لحظة من اللحظات »[٣٠] !!

فانظر معى وتعجب .. كيف ألهت الصوفية ذلك القطب ، وجعلت منه ربا أكبر .. ربا يعبد ، ويخشى ، ويرهب !!

ويعاون القطب امامان ، هما منه بمنزلة الوزيرين .. أحدهما لعالم الملك ، والآخر لعالم الملكوت !!

كما يعاونه الأوتاد ، والأبدال ، والنجباء ، والنقباء !!

فالأوتاد أربعة — وقيل ثلاثة — كلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم .. وعلمهم يفيض من قطب الأقطاب .. وان ماتوا جميعهم فسدت الأرض !!

أما الأبدال .. فهم حقيقة روحانية تجتمع اليها أرواح أهل ذلك الموطن الذى رحل عنه وليه .. وعددهم أربعون : اثنان وعشرون منهم بالشـــام ، وثمانية عشر بالعراق !!

والنجباء .. دون الأبدال ، ويسكنون مصر .. وعملهم أن يحملوا عن الخلق أثقالهم .. وعددهم سبعون !!

وعدد النقباء ثلاثمائة — وقيل خمسمائة — وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض[٣١] !!

---

(٢٩) جواهر المعانى ، ج ٢ ص ٧٩

(٣٠) المرجع السابق ص ٦٣

(٣١) جامع الأصول فى الأولياء ، للكمشخانى ، ص ٩٣ .

أرأيت كيف ابتدعت الخرافات الصوفية هذه المملكة للأساطير ، وتلك الحكومة الباطنة التى زعموها •• ليستعبدوا بها الناس لما يشتهون ، ويزرعوا فى قلوبهم الخوف والرهبة لاخضاعهم لسلطانهم ؟ !

اذا كان هذا هو حال تلك المملكة الخرافية !!

واذا كان هذا هو تخصصهم فى شئون البلاد والعباد !!

فماذا أبقوا لله تعالى ؟ !

وماذا أبقوا لملائكته ورسله ، اذا كان ديوانهم يتصرف فى أحوال الناس على ذلك النحو الذى زعموه ؟ !

وأستغفر الله ، ولا قوة الا بالله : « له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين »(٣٢) .

يقول صاحب كتاب « الصوفية فى نظر الاسلام » — جزاه الله عن الاسلام خيرا — : « قسم الصوفية الولاية لأنفسهم على أساس الكرامات الى مراتب فى الولاية •• أعلاها مرتبة « القطب » وهو كبير القوم ، ومهبط الرحمة عندهم ، ومصدر البركات •• ولا يتعدد صاحبها حتى يخلفه غيره !!

« ويلى ذلك رتبـــة « الامامة » وتكون لاثنين عن يمين القطب وشماله بمنزلة الوزراء منه !!

« وتليهم درجة « الأبدال » السبعة !!

« ومن بعدها •• مرتبة « الأنجاب » الاثنا عشر !!

« ••• وأخيرا •• مقام « النقباء » الأربعين !!

« ويحكى الصوفية •• أن هؤلاء يعقدون الجلسات الروحية ليلة الأربعاء من كل أسبوع ، فتعرض عليهم فيها أمور الناس وأحوالهم ، فيقسمون فيها الحظوظ والأرزاق ، ويكتبون المواليد والوفيات ، ويهبون لمحبيهم وزائرى قبورهم العافية والبركة والنجاح ، ويقدرون العقوبات والمناصفات على العصاة والمذنبين والمعترضين !!

« يقضون فى هذا كله •• ثم يبعثون بقرارتهم الى « الخلفاء » و « النقباء » •• فيخبرون بها الناس !!

---

(٣٢) الأعراف : ٥٤

« ويقسم الصوفية الديار الى مناطق نفـوذ ودوائر اختصاص للأولياء .. فمن مكان كذا الى مكان كذا ، يقع فى دائرة الولى فـلان .. ومن حدود كذا الى حدود كذا فى دائرة فلان .. فلا يليق أن يتقدم سائل — قليل الذوق — برجاء الى البدوى بطنطا اذا كان بحكم مولده واقامته يقع فى دائرة الدسوقى بدسوق .. وتس على ذلك !!

« وتقام لهؤلاء المقبورين الموالد فى المواسم المعينة من كل عام .. فيلتقى فى محيطها خلق كثير .. ويولم الصوفية هذه الموالد على حب أصحابها وينحرون المواشى نذورا لأربابها .. ويرجعون منها بالأموال الوفيرة التى ينزعونها من أقوات الفقراء وحلى النساء ، مقابل السماح لهؤلاء الأذلاء المستضعفين بالنوم فى سرادقاتهم ، وحضور مجالس الذكر التى تكتب فيها الاستغاثات بماء الزعفران والورد .. يتفضل بها المشـيوخ على من حولهم زاعمين لهم أن توجيه هذه الاستغاثات الى من فى القبور والأضرحة هو أقرب الطرق ليرفعوا الضر عن أنفسهم ، ويكشفوا الكرب والبلاء ، ويستنزلوا البركة ويستمدوا المـال والولد ، ويدفعوا عن حقولهم آفات الزرع ، ويكيدوا لخصومهم وسارقى ماشيتهم ، ويقتصوا من أعدائهم فى أبنائهم وأموالهم ... الخ »[٣٣] .

* * *

● **خاتم الأولياء :**

الوجود — عند فلاسفة الصوفية — كما قدمنا : وحدة واحدة !!

والله تعالى — طبقا لنظرية وحدة الوجود — هو عين خلقه !!

والنبوة — فى عقيدتهم — ليست الا تطويرا للنفوس البشرية ، وليست باصطفاء الله تعالى واختياره !!

والوحى — فى تصورهم — ليس الا صورا تشرق فى النفس وقت شدة الصفاء !!

---

(٣٣) انظر : الصوفية فى نظر الاسلام ، للأستاذ سميح عاطف الزين ، نشر دار الكتاب اللبنانى ، ببيروت ، ص ٨٠ ، ٨١

والولاية — فى زعمهم — أفضل من النبوة لأخذها عن الله مباشرة ، فى حين يأخذ الأنبياء عن جبريل !!

وخاتم الأولياء •• أفضل الكل ، لأن الأولياء والأنبياء يستفيدون منـــه !!

يقول أبو حامد الغزالى : « العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة •• اتفقوا على أنهم لم يروا فى الوجود الا الواحد الحق •• ولكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علميا [أى وصل اليها عن طريق البرهان] ومنهم من صـــار له ذوقاً وحالا [أى وصل اليها عن طريق الكشف والالهام] وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة ، فلم يبق عندهم الا الله ، فسكروا سكرا وقع دونه سلطان عقولهم •• فقال بعضهم : أنا الحق • وقال الآخر : سبحانى ، ما أعظم شأنى • وقال الآخر : ما فى الجبة الا الله ••

« وكلام العشاق فى حال السكر يطوى ولا يحكى ! فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد •• بل يشبه الاتحاد ، مثل قول العاشق فى حال فرط العشق :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا(٣٤)

« وتسمى هذه الحالة بالاضافة الى المستغرق فيها بلسان المجاز : اتحادا •• وبلسان الحقيقة : توحيدا •• ووراء هذه الحقائق أسرار لا يجوز الخوض فيها »(٣٥) !!

ويقـــول : « الكل من نوره ، بل هو لا هوية لغيره الا بالمجاز [الهوية عندهم هى الحقيقة الباطنة للذات الالهية !!] فاذن لا نور الا هو : وســـائر الأنوار أنوار من الوجه الذى تليه ، لا من ذاتها ،

---

(٣٤) البيت للحلاج ، ويقول فى الذى يليه :
« فاذا أبصرتنى أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا »

(٣٥) مشكاة الأنوار ، للغزالى ، ص ١٢٢

فوجه كل موجه اليه ومول شطره « **فأينما تولوا فثم وجه الله** »[٣٦] .. فاذن لا اله الا هو ، فان الاله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأليه .. أعنى وجوه القلوب فانها الأنوار والأرواح .. بل كما لا اله الا هو ، فلا هو الا هو .. فان هو عبارة عما اليه الاشارة ، وكيفما كان ، فلا اشارة الا اليه .. بل كلما أشرنا ، فهو بالحقيقة اشارة اليه »[٣٧] !!

أليست هذه هى وحدة الوجود التى نادى بها ابن عربى ؟!

● ويزعمون أن الحقيقة المحمدية ، هى الذات مع التعين الأول ، ولها الأسماء الحسنى ، وهى اسم الله الأعظم !!

والرسول ﷺ — فى تصورهم — هو الجامع بين العبودية والربوبية الشامل للامكانية والوجوبية !!

ويقولون انه — ﷺ — يحضر كل مجلس أو مكان أراد ، بجسده وروحه ، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت ، وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته ، فانه لم يتبدل منه شىء[٣٨] !!

وأنوار المكونات كلها — فى عقيدتهم — من عرش ، وفرش ، وسماوات وأرض ، وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها .. اذا جمعت كلها وجدت بعضا من نوره — ﷺ — وأنه لما خلق النور المحمدى ، جمع هذا النور جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاً أحديا قبل التفصيل فى الوجود العينى ، وذلك فى مرتبة العقل الأول !!

● ولما كان الله تعالى — فى عقيدتهم الزائغة — هو عين خلقه ، فانهم يؤمنون بوحدة الأديان كلها .. سواء منها ما أنزله تعالى وما ابتدعته الشياطين !!

اسمع الى ابن عربى وهو يحذر أتباعه من الايمان بدين خاص فيقول : « فاياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه .. فكن من نفسك هيولى [أى القابل الذى تنطبع فيه صور المعتقدات كلها وينفعل بها] لصور

---

(٣٦) البقرة : ١١٥ (٣٧) مشكاة الأنوار ، ص ١٢٤

(٣٨) رماح حزب الرحيم ، للفونى ، ج ١ ، ص ٢١٩

المعتقدات كلها .. فان الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد ، فالكل مصيب ، وكل مصيب مأجور ، وكل مأجور سعيد ، وكل سعيد مرضى عنه »[٣٩] !!

● ولما كان الدين — فى تصورهم — واحدا .. والوجود كله وحدة واحدة .. والرب عندهم هو العبد ، والعبد هو الرب .. فلا عذاب فى الآخرة .. ومن الذى يعقل أن يعذب الرب نفسه ؟ !

يقول ابن عربى :

فلم يبق الا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحق عين تعاين
وان دخلوا دار الشقاء ، فانهم ... على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلى تباين
يسمى عذابا من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صائن[٤٠]

ويعنى ابن عربى بالوعد : نعيم الآخرة ، وبالوعيد عذابها ، فهو هنا ينفى العذاب مطلقا فى الآخرة .. حتى للمشركين !!

ومن نفس المنطلق يقول الجيلى :

وأسلمت نفسى حيث أسلمنى الهوى ... ومالى عن حكم الحبيب تنازع
فطورا ترانى فى المساجد راكعا ... وانى طورا فى الكنائس راتع
اذا كنت فى حكم الشريعة عاصيا ... فانى فى علم الحقيقة طائع[٤١]

ولهذا نراه عندما يفسر كلمة « لا اله الا الله » .. يقول :

« يعنى : الالهية المعبودة ليست الا أنا .. فأنا الظاهر فى تلك الأوثان والأفلاك والطبائع ، وفى كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة ، فما تلك الآلهة كلها الا أنا ، ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة ، وتسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه فى الحقيقة .. تسمية حقيقية لا مجازية .. انه أراد أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة ، وأنهم ما عبدوا فى جميع ذلك الا هو ، فقال : لا اله الا أنا .. أى ما ثم من يطلق عليه اسم الاله الا وهو أنا ..

---

(٣٩) الفصوص ، ص ١٩١ (٤٠) الفصوص جـ ١ ، ص ٩٤
(٤١) الانسان الكامل ، جـ ١ ، ص ٢٣

لا اله الا أنا .. أى ما ثم الا أنا ، وكل ما أطلقوا عليه اسم الاله فهو أنا »[٤٢] !!

● والديوان — عندهم — كما قدمنا هو الذى عليه مدار الكون ..

● والقطب .. هو أكمل انسان متمكن فى مقام الفردية .. أو الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض فى كل زمان ، عليه تدور أحوال الخلق .. وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد ، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وقد يسمى « بالغوث » باعتبار النجاء الملهوف اليه »[٤٣] !!

ولهذا كان علم الأقطاب — فى زعمهم — هو علم الله تعالى .. أكرمهم به ، فعلمهم ما قبل وجود الكون ، وما وراءه ، وما لا نهاية له .. بل وعلمهم علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات ، وخصصهم بأسرار دائرة الاحاطة وجميع فيوضه وما احتوى عليه »[٤٤] !!

ويدعى كل منهم القطبانية لنفسه .. يقول ابن الفارض :

فبى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها الـ ... محيط ، والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلى عن ثلاث خلفته ... وقطبية الأوتاد عن بدلية

ويقول الدسوقى :

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم ... وسرى فى الأكوان من قبل نشأتى
أنا كنت فى العلياء مع نور أحمد ... على الدرة البيضاء فى خلويتى
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه ... بلطف عنايات وعين حقيقة
أنا كنت مع ادريس لما أتى العلا ... وأسكن فى الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقا ... وأعطيت داوودا حلاوة نغمة

---

(٤٢) الانسان الكامل ص ٦٩

(٤٣) التعريفات للجرجانى تحت مادة « قطب » ، وانظر جامع الأصول للكمشخانلى .

(٤٤) جواهر المعانى ، للتيجانى ، ص ٨١

أنا كنت مع نوح بما شهد الورى بحـــارا وطوفانا على كف قدرة
أنا القطب شيخ الوقت فى كل حالة أنا العبد ابراهيم شيخ الطريقة(٤٥)

* * *

كان من اللازم أن نلم بهذه الالمامة السريعة التى نستعرض فيها فكر القوم حول : وحدة الوجود ، والحقيقة المحمدية ، وحقيقة القطب والديوان ونحن بصدد الحديث عن خاتم الأولياء — بالرغم من أننا قد شرحنا هذه المسائل فى مواضعها شرحا وافيا — نظرا لارتباط الموضوع ببعضه ارتباطا وثيقا ، حيث ان المقدمات تسوق دائما الى النتائج .. وأفكار القوم فى هذه المسائل تقودنا الى الحديث عن خاتم الأولياء ..

وفلاسفة الصوفية .. يزعمون أن الله تعالى قد أورث علم الأنبياء للأولياء .. بل ان الأولياء — فى تصورهم — أفضل من الأنبياء ، لأنهم يتلقون عن الله مباشرة !! والله تعالى — عند ابن عربى — تسمى بالولى ولم يتسم بالنبى !! ، والأنبياء — عند الجيلانى — أوتوا اللقب بينما أوتى الأولياء ما لم يؤت الأنبياء !! .. والأولياء يخوضون بحـــرا وقف الأنبياء بساحله !! الخ .. الخ .

ولمـــا كان الرسول ﷺ هو خاتم (٤٦) الأنبياء .. فلا بد — فى عرفهم — أن يكون للأولياء خاتم(٤٦) !!

ومن هنا ابتدعوا خرافة « خاتم الأولياء » وراح كل منهم يزعم أنه ذلك الولى الخاتم !! فهذا الدسوقى يزعم أن الرسول ﷺ قال له : « يا ابراهيم ، أنت نقيب على الأوليـــاء » !! ويزعم ابن عربى — فى الفتوحات — أنه أقيم له حفل كبير — فى رؤيا رآها أثناء نومه — وأنه قد نصب له فيه كرسى بين يدى الله تعالى .. ومن حوله وقف عظماء الملائكة والأنبياء .. ثم نصب فى ذلك الحفل خاتما للأولياء .. ويقول : « لم يكن الحق — أى الله تعالى — أوقفنى على ما سطره لى من توقيع ولايتى أمور العالم ، حتى أعلمنى بأنى خاتم الولاية المحمدية » !! .. ويعبر رؤياه تلك بقوله : « ثم عبرت الرؤيا باختتام الولاية بى » !!

---

(٤٥) الطبقات الكبرى للشعرانى ، ج ١ ، ص ١٨٢

(٤٦) بفتح التاء فى الموضعين ..

وادعت التيجانية لشيخها — أحمد التيجانى — أنه هو الولى الخاتم .. يقول عمر بن سعيد الفونى — أحد أتباعه : « الفصل السادس والثلاثون فى ذكر فضل شيخنا ، وبيان أنه خاتم الأولياء ، وأمام الصديقين ، ممد الأقطاب والأغواث »[٤٧] !!

فما هى أسطورة « خاتم الأولياء » التى راح كل منهم يدعيها لنفسه ؟ !

ابتدع هذه الخرافة الحكيم الترمذى (ت ٣٢٠ هـ) .. فقد كان أول من عقد المقارنة بين النبوة والولاية .. مستوحيا فيها معارفه فى علوم الفلسفة ومسائل اللاهوت .. فأوقف بهذه البدعة الولاية بجوار النبوة وجعلها مساوية لها ان لم تزد عليها !!

يقول السلمى عن الترمذى — مبتدع هذه الخرافة — : « نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » ..

كما يقول : « انه يقول ان للأولياء خاتما .. كما ان للأنبياء خاتما ، وأنه يفضل الولاية على النبوة »[٤٨] !!

ويقول عنه ابن تيمية : « فى كلامه من الخطأ ما يجب رده .. ومن أشنعها ما ذكره فى ختم الولاية مثل دعواه فيه أنه يكون فى المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبى بكر وعمر وغيرهما .. ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذى يكون فى آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء .. وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء »[٤٩] !!

ويغالى ابن عربى فى ترديد هذه الخرافة .. فيزعم أن الرسل لا يستمدون علومهم الا من خاتم الأولياء .. وهذا يستلزم تفضيل الولى الخاتم على الرسل بعامة .. فيقول :

« وليس هذا العلم [أى علم وحدة الوجود] الا لخاتم الرسل

---

(٤٧) رماح حزب الرحيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥

(٤٨) مفتاح السعادة ، لطاش كبرى زاده ، ج ٢ ص ١٧٠

(٤٩) رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين ، لابن تيمية ص ٧٩

وخاتم الأولياء .. وما يراه أحد من الأنبياء أو الرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولى الخاتم .. حتى أن الرسل لا يرونه — متى رأوه — الا من مشكاة خاتم الأولياء ، فان الرسل والنبوة — أعنى نبوة التشريع — تنقطعان .. والولاية لا تنقطع أبدا ، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الولاية »(٥٠) !!

بل انه يفضل خاتم الأولياء على النبى الخاتم — ﷺ — نفسه !! فيقول : « ولما مثل النبى ﷺ النبوة بالحائط من اللبن ، وقد كمل سوى موضع لبنة .. فكان ﷺ تلك اللبنة .. غير أنه ﷺ لا يراها الا كما قال : « لبنة واحدة » .. أما خاتم الأولياء ، فلابد له من هذه الرؤية ، فيرى ما مثل به رسول الله ، ويرى فى الحائط موضع لبنتين .. فلابد أنه يرى نفسه تنطبع فى موضع تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط .. كما هو آخذ عن الله فى السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه .. لأنه يرى الأمر على ما هو عليه .. فانه آخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول »(٥١) !!

كما يقول : « وفينا من يأخذه عن الله ، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم »(٥٢) !!

وهكذا ترى أن ابن عربى يفضل خاتم الأولياء على خاتم الرسل والأنبيـاء .. بأن خاتم الأولياء يأخذ عن الله مباشرة ، بينما خاتم الأنبيـاء يأخذ عن الله بواسطة الملك .. كما أن الدين قد تم على يد خاتم الأولياء ، وليس خاتم الأنبياء !!

وابن عربى حين يبتدع هذه الخرافة ، يشير الى الحديث الصحيح الذى يمثل فيه الرسول ﷺ ما بعث به هو والأنبياء من قبله ببيت كانت تنقصه لبنة ، وأنه ﷺ هو الذى جاء بهذه اللبنة ، يعنى أنه هو الذى أتم الله به على المسلمين دينهم ..

ولكن ابن عربى .. يزعم هنا أن الدين كان ناقصاً لبنتين ، لا لبنة

---

(٥٠) الفصوص ج ١ ، ص ٦٢ (٥١) المرجع السابق ص ٦٣
(٥٢) نفس المرجع ص ١٦٣

واحدة .. فأتى الرسول ﷺ بواحدة ، وأتى خاتم الأولياء بها وبلبنة أخرى ، فلم يكمل الدين الا على يد خاتم الأولياء !!

ويدحض الله افكهم بقوله : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »(٥٣) .

لقد أكمل الله الدين وأتم النعمة ببعثة رسوله محمد بن عبد الله — ﷺ — خاتم الأنبياء والمرسلين ليكون هاديا لنا وبشيرا ..

لقد حسم الله القضية ، ووضع لنا المنهاج ، وأخذ علينا الميثاق يوم أن طلب منا : « **ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله** »(٥٤) .

لقد أكمل الله الدين وأتم النعمة قبل أن يوجد الحكيم الترمذى ، ومحيى الدين بن عربى بمئات السنين .. فلماذا يبتدعان دينا جديدا لم يقل به اليهود أو النصارى وغيرهم من أهل الملل والأديان السماوية أو الوضعية ؟ !

يقول ابن تيمية حين ينبرى لدحض مزاعم الترمذى وابن عربى : « ثم ان هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة لا حقيقة لها .. وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف .. وقد ادعاها غير واحد ، ولم يدعها الا من كان فى كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصارى .. كما ادعاها صاحب الفصوص »(٥٥) ..

ذلك لأنهم : « بنوا الأمر على أن الولى يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبى يأخذ بواسطة الملك .. فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة »(٥٦) !!

فلا عجب — اذن — وهذا حال خاتم الأولياء .. أن يدعى كل منهم لنفسه هذا المنصب الخطير !!

* * *

---

(٥٣) المائدة : ٣ (٥٤) آل عمران : ٦٤

(٥٥) حقيقة مذهب الاتحاديين ، لابن تيمية ، ص ٦٣

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٦٤

● **كرامات .. أم خرافات ؟ !**

قلنا : ان الكرامة هي أمر خارق للعادة — شأنها شأن المعجزة — غير أنها ليست مقرونة بدعوى النبوة ، وأن الله تعالى يظهرها على يد عبد صالح ، متحل بهدى النبى ﷺ ، عامل بأحكام الشريعة المطهرة ، ومتأدب بآدابها فى اعتقاده وقوله وعمله ..

وذكرنا أن الكرامة ثابتة عند جماهير العلماء خلفاً وسلفاً . . ولكن ما هى الكرامة فى تصور الصوفية ؟ !

يقول صاحب « الصوفية فى نظر الاسلام » : « لقد كانت المعجزات حقيقة مسلما بها فى حق الرسل .. فلا ضرورة لأمثالها ونظائرها فى حق مدعى الصلاح من الصوفية !!

« ولو كانت الكرامات دليل صلاح وتقوى — كما يقولون — لكان الصحابة والتابعون لهم باحسان أحق من هؤلاء المتمشيخين المتأخرين الذين تنسب اليهم الكرامات بغير حساب ..

« ولقد حار الصوفية فى دفع هذا الاعتراض حتى لم يجدوا آخر الأمر بدأ من اختراع بعض الكرامات ينسبونها الى هؤلاء الأطهار .. ليتناقلها الناس عنهم .. وفاتهم أن حياة الصحابة والتابعين قد تركت بالجهاد والشهادة ، وليس بعدها مرتبة فى الولاية والكرامة .. وليست بطولتهم الصادقة بحاجة الى أن يلصق بها شىء من الالتواء فى الوسائل لرفع أقدارهم .. أو الكرامة بشىء غير الاسلام ..

« أما شيوخ التصوف .. فليس لهم شىء يفخرون به غير ادعاء الكرامات .. فاذا انتزعتها عنهم ، فماذا أبقيت لهم ؟

« ولذلك يحرص أتباع التصوف على الدفاع عن كرامات الأشياخ .. وهذا تاريخ الصوفية ليس فيه حديث رجل منهم قام لينقذ أمته من عار الاستعمار ، مع أن أتباعه يعدون بالألوف — بل مئات الألوف — ولا يعوزه المال !!

« وهذه التعاليم .. هل تجد فيها دعوة الى الرشد ، أو ثورة على الضعف .. أو نزعة الى العمل ؟

« ثم ماذا يفيد المسلمين أن تتفتت عقولهم بحكاية احياء البدوى للموتى .. أو مقدرة الشاذلى على احالة التراب تبراً ؟ !

« ان هذا الحديث .. قد يهيج أناسا أغلقوا أفهامهم دون الحق بحكم ما ورثوه اضطرارا من تقاليد لم يعنوا بامتحانها »[٥٧] ..

ثم يقول — جزاه الله خيرا : « عمد بعض الصوفيين الى الظهور بالخوارق فى الأوساط الاسلامية تحت ستار « الولاية » .. وقالوا : لا تتحقق ولاية بغير كرامة .. ثم قالوا : ان الكرامة نتيجة للعمل بالكتاب والسنة ، وأمارة صدق على صحة السلوك !!

« ومعنى الولاية فى كمالها — عند الصوفية — تسخير قوى الكون للولى بقوة روحانية .. فلا يمتنع عليه عسير ، ولا يستحيل أمام ارادته أمر .. حتى يقول للشىء : كن فيكون !!

« أما مظاهر الولاية .. فتكون فى قذارة الثياب ، واطالة الشعر ، ولباس الخرقة والمرقعة ، والتشرد فى الأرض ، وذهول الولى عن نفسه ، وفساد عقله ونكران وجوده !!

« ولقد غالى الصوفية فى انتحال الكرامات حتى نسبوا الى أشياخهم احياء الموتى ، ورؤية الاله .. فكان هذا من الأسباب التى حملت المسلمين الأولين على القيام فى وجه الصوفية وتكفيرهم ..

« ثم أتى على الناس حين من الدهر .. تراخى فيه العلماء عن قول الحق ايثارا لرضاء الناس على رضا الله .. فراجت دعوى الكرامة حتى أصبح الناس لا يفهمون الاسلام بغير الخوارق .. وأصبح الرجل فى بلادنا يروى خاشعا عشرات الكرامات لكل شيخ يلقنها أبناءه وأحباءه .. ويدعوهم بعد ذلك الى التقرب الى الله بزيارة قبر الشيخ .. والتوسل اليه فى قبره أن يشملهم بنظره ، وأن يمدهم بمدده »[٥٨] !!

* * *

---

(٥٧) الصوفية فى نظر الاسلام ، مرجع سابق ص ٨١

(٥٨) المرجع السابق ص ٧٩ ، ٨٠

يقول أبو يزيد البسطامى : « لو أن العرش ، وما حواه مائة ألف مرة ألف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف ، لمـا أحس به .. فقلب العبد الخصوصى بيت الله ، وموضع نظره ، ومعدن علومه ، وحضرة أسراره ، ومهبط ملائكته ، وخزانة أنواره ، وكعبته المقصودة ، وعرفاته المشـهودة »[٥٩] !!

أى أن قلب الصوفى أوسع من عرش الله !!

ويقول الدباغ : « انى أرى السموات السبع ، والأرضين السبع والعرش ، داخلة وسط ذاتى .. وكذا ما فوق العرش فى السبعين حجابا »!! [٦٠] ..

الملكوت كله .. والسموات السبع ، والأرضين السبع ، والعرش وما فوقه فى بطن الدباغ !!

ويدعى الدباغ .. أن معجزات الرسل انما هى بعض كرامات الصوفية .. يقول : « كل ما أعطيه سليمان فى ملكه ، وما سخر لداوود ، وما أكرم به عيسى .. أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبى ، ومكنهم من القدرة على ابراء الأكمه والأبرص ، واحياء الموتى »[٦١] !!

ويزعم الدسوقى أن الجنة والنار بيديه .. فيقول : « أنا بيدى أبواب النار أغلقتها ، وبيدى جنـة الفردوس فتحتها .. من زارنى أسكنته جنة الفردوس ، وما كان ولى متصلا بالله الا وهو يناجى ربه كما كان موسى يناجى ربه »[٦٢] !!

بل ويزعم النبجانى أنه يضـمن الجنة لمن يطعمه .. فيقول : « أخبرنى سـيد الوجود يقظة ـ لا منامـا ـ : كل من أحسن اليك بخدمة أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب .. فسألته لكل من أحبنى ولكل من أحسن لى بشىء من مثقال ذرة ، ومن أطعمنى طعامه كلهم يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب .. وسألته

---

(٥٩) الفصوص ، لابن عربى ، ص ١٤١

(٦٠) الابريز ، للدباغ ، ج ٢ ص ٧٣

(٦١) المرجع السابق ص ١٢

(٦٢) انظر الطبقات الكبرى للشعرانى فى ترجمته الدسوقى .

لكل من أخذ عنى ذكرا أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر ، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء ، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت الى دخول الجنة .. وأن يكونوا كلهم معى فى عليين فى جوار النبى .. فقال لى ﷺ : ضمنت لهم هذا ، ضمانة لا تنقطع ، حتى تجاورنى أنت وهم فى عليين »[٦٣] !!

وأولياء الصوفية .. أعطاهم الله — فى زعمهم — طى الأرض ، والمشى على الهواء .. ومنحهم كنوز الأرض فانقلبت لهم الأعيان .. اقرأ معى «قوت القلوب» لأبى طالب المكى .. حيث يتحدث أحد أقطابهم عما أنعم عليه به ربه فيقول : « أدخلنى فى الفلك الأسفل ، فدورنى فى الملكوت السفلى .. فأرانى الأرضين وما تحتها الى الثرى .. ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السموات ، وأرانى ما فيها من الجنان الى العرش .. ثم أوقفنى بين يديه فقال لى : سلنى أى شيء رأيت حتى أهبه لك .. فقلت : ياسيدى ، ما رأيت شيئا أستحسنه فأسالك اياه »[٦٤] !!

أرأيت لهذا الصوفى الذى يدخله الله فى الفلك الأسفل ، ويدوره فى ملكوته ، ويريه الأرضين وما تحتها الى الثرى .. ثم يدخله فى الفلك العلوى ويطوف به فى السموات .. ويريه جناته وكل ما فيها الى العرش .. ومع هذا لا يستحسن شيئا من كل ذلك .. حتى عرش الله لم يستحسنه !! .. ولهذا نراه يزعم أن الله قال له بعد أن قال قولته : « أنت عبدى حقا » !! .. ياللوقاحة !!

ويروى لنا الجبرتى .. أن على بن حجازى البيومى ، رأى الشيخ الدمرداش فى السماء ، وأنه قال له : لا تخف فى الدنيا ولا فى الآخرة .. وأنه كان يزعم رؤيته للنبى ﷺ فى خلوته .. وسمعه يقول لأبى بكر رضى الله عنه : اسع بنا نطل على زاوية الدمرداش .. وأنه دخل مرة على السيد البدوى ورأى النبى ﷺ عنده ، فخشى أن يكون واهماً فى

---

(٦٣) جواهر المعانى فى فيض التيجانى ، لعلى حرازم ، ج ١ ، ص ٩٧

(٦٤) قوت القلوب ، لأبى طالب المكى ، ص ١٠٣

رؤية النبى ، ولكن الدمرداش الذى كان عند ضريحه قال له : مد يدك الى النبى فهو حاضر عندى »[٦٥] !!

ويزعم الصوفيون أن شيوخهم يقولون للشىء كن فيكون •• فيقول على بن حرازم عن أحد شيوخه : « انه خليفة ، يملكه الله كلمة التكوين ، متى قال للشىء كن ، كان من حينه »[٦٦] !!

ويقول أبو السعود : « أعطانى الله التصرف منذ خمس عشرة سنة وتركناه تظرفا » ••

ويعلق ابن عربى على هذا بقوله : « وأما نحن ، فما تركناه تظرفا •• وانما تركناه لكمال المعرفة »[٦٧] !!

ويقول الدباغ : « رأيت وليا بلغ مقاما عظيما •• وهو أن يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة ، والوحوش والحشرات ، والسموات ونجومها ، والأرضين وكرة العالم بأسرها تستمد منه •• ويسمع أصواتها وكلامها فى لحظة واحدة •• ويمد كل واحد بما يحتاجه ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك »[٦٨] !!

أما التيجانى •• فيحدثنا عن نفسه فيقول : « روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء •• وروحى تمد الأقطاب والعارفين من الأزل الى الأبد •• واذا جمع الله تعالى خلقه فى الموقف ينادى مناد بأعلى صوته يسمعه كل من فى الموقف : يا أهل المحشر ، هذا امامكم الذى كان مددكم منه •• كل ما فاض عن ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق »[٦٩] !!

ويصفه أحد أتباعه بقوله : « اذا توجه أغنى وأقنى ، وبلغ المنى »[٦٩] .

---

(٦٥) عجائب الآثار ، للجبرتى ، ج ١ ص ٣٢٠
(٦٦) انظر جواهر المعانى ج ٢ ، ص ٨
(٦٧) الفصوص ، ج ١ ، ص ١٢٩
(٦٨) الابريز ، للدباغ ج ٢ ، ص ٧٣
(٦٩) جواهر المعانى ، ج ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧

ويصفه آخر فيقول : « لا يتلقين واحد من الأولياء فيضا من حضرة نبى الا بواسطته »[٧٠] !!

ويقول آخر : « نفوذ بصيرته الربانية التى ظهر مقتضاها من اظهار مضمرات ، واخبار بمغيبات ، وعلم بعواقب الحاجات ، وما يترتب عليها من المصالح والآفات »[٧٠] !!

ويقول البسطامى : « رفعنى — أى الله تعالى — فأقامنى بين يديه وقال لى : يا أبا يزيد ، ان خلقى يحبسون أن يروك .. فقلت : ربنى بوحدانيتك ، وألبسنى أنانيتك ، وارفعنى الى أحديتك .. حتى اذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك ، لتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك »[٧١] !!

بل ان الموتى — حسب تصورهم — لهم القدرة على التصرف فى الوجود !!

يقول الشعرانى : « أن شيخى أخذ على العهد فى القبة تجاه وجه سيدى أحمد البدوى وسلمنى اليه بيده .. فخرجت اليد الشريفة من القبر وقبضت على يدى ..قال سيدى الشناوى : يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك .. فسمعت سيدى أحمد يقول من القبر : نعم !!

« ولما دخلت بزوجتى وهى بكر .. مكثت خمسة أشهر لم أقرب منها .. فجاء — أى البدوى — وأخذنى وهى معى ، وفرش فرشا فوق ركن قبته ، وطبخ لى حلوى ، ودعا الأحياء والأموات اليه ، وقال : أزل بكارتها هنا . فكان الأمر تلك الليلة !!

« وتخلفت عن حضورى للمولد .. وكان هناك بعض الأولياء ، فأخبرنى أن سيدى أحمد البدوى كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول : أبطأ عبد الوهاب .. ما جاء »[٧٢] !!

ويقول عن الحريثى : « قصدته فى حاجة ، وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر .. فرأيته خرج من قبره يمشى من دمياط الى

---

(٧٠) جواهر المعانى ، المرجع السابق .
(٧١) اللمع ، للطوسى ، ص ٣٨٣
(٧٢) الطبقات الكبرى ، للشعرانى ، ج ٢ ص ١٣٥

أن صار بينه وبينى نحـــو خمسة أذرع فقال : عليك بالصبر .. ثم اختفى »[٧٣] !!

ويعدد ابن عربى أنواع الكرامات فيقول : « ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها فى العوائد وخرقها »[٧٤] !!

« ومنها مكالمته للملأ الأعلى ومحادثته لهم »[٧٥] !!

وماذا يكون سماع الجمادات أو الحديث مع الملائكة فى الملأ الأعلى الى جانب احياء الموتى الذى يزعمه الصوفيون لأوليائهم ؟ !

فهذا أبو عبيد اليسرى يغزو ومعه دابة ، فتموت .. فيسأل الله أن يحييها ، فاذا بها تقوم تنفض أذنيها !!

وهذا الدماميني .. يؤتى له بفراخ مشوية ، فيقول : طيرى باذن الله تعالى .. فتطير !!

وهذا الكيلانى .. يضع يده على عظم دجاجة بعد أن أكلها ويقول لها : قومى باذن الله .. فتقوم !!

ويموت لأحد تلاميذ يوسف الدهمانى ولد ، فيجزع عليه ، فيقول له الشيخ : قم باذن الله .. فيقوم ويعيش طويلا !!

ويسقط طفـــل من ســـطح الفارقى ، فيموت .. فيدعو الله فيحييه[٧٦] !!

ويحدثنا الكوهنى عن معجزات سلامة الراضى فيقول : « حملت احدى زوجات الاخوان .. وفى التاسع مات الجنين ، وبقى عشرة أيام ميتا ببطن أمه .. وعند الوضع ذاكر هـــذا الأخ شيخنا فقال : كذلك يافلان ؟ . وبتمامه تم الوضع طبيعيا كأن لم يكن هناك وليد مات منذ عشرة أيام !!

« وكف بصر أحد الاخوان فذاكر حضرة الأستاذ .. فقال له : ان كتمت الأمر أبصرت .. فرضى بالشرط فمسح على عينه ، فأبصر » !!

---

(٧٣) الطبقات الكبرى ، ج ٢ ص ١٥٤

(٧٤) مواقع النجوم ، لابن عربى ص ٧٥

(٧٥) المرجع السابق ص ٨١

(٧٦) الكواكب الدرية ، لعبد الرؤوف المناوى ، ص ١١

« وكان لبعض وجهاء بندر الجيزة ابنة وحيدة أصابتها الحمى .. وبعد شفائها خرست فلم تتكلم أبدا .. فعرضوها على الأطباء سنوات فلم تشف .. فأحضروها لشيخنا ، ونظر اليها نظرة فسألها عن اسمها ، فنطقت به وذهب خرسها فى الحال »[٧٧] !!

انها نفس المعجزات التى من الله بها على عيسى ابن مريم عليه السلام ، من ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى .. فماذا يكون التحدث الى الملائكة فى الملأ الأعلى أو سماع الجمادات الى جانب احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص ؟ !

وأولياء الصوفية .. يتطورون الى الوحوش والحيوانات وغيرها .. فهذا الغمرى — كما يذكر الشعرانى — يدخل عليه محمد بن شعيب فيراه جالسا فى الهواء وله سبع عيون !!

وهذا الشيخ أبو على : « تدخل عليه تجده جنديا ، ثم تدخل عليه فتجده سبعا ، ثم تدخل فتجده فيلا .. وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة !!

ويزعم الشعرانى .. أن بعض الناس تآمروا على ذلك الشيخ المتطور الى فيل وسبع ، وأنهم قطعوه بسيوفهم وأخذوه فى تليس .. ثم أصبحوا فوجدوه حيا جالسا[٧٨] !!

ما هذا الهراء .. وما هذا الجنون والخبال ؟ !

أهذه هى الولاية والكرامة فى عرف القوم ؟ !

اللهم انا نبرأ اليك من تصوراتهم الضالة للولاية والكرامة .. فان أولياء الله أكرم عليه من أن يعرضهم الى تلك المهانات التى يلصقونها بهم[٧٩] .

* * *

(٧٧) طبقات الشاذلية الكبرى ، للحسن بن محمد الكوهنى ، ص ٢٥٨

(٧٨) الطبقات الكبرى ، للشعرانى جـ ٢ ، ص ٨٠ ، ٨١

(٧٩) انظر كتابنا « من وصايا القرآن الكريم » نشر دار التراث العربى ص ٤٢١ — ٤٤١ حيث تجد أمثلة كثيرة من هذه الضلالات التى يدعونها لأوليائهم مما يعجز العقل عن تصديقه ..

● يقول فضيلة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل : « كانت الجاهلية فى اسفافها الوثنى أقل حماقة من الصوفية •• وتدبر ما قصه الله عن الجاهلية وشركها ؛ تجدهم كانوا يوحدون الله فى ربوبيته توحيدا حرمت حتى من مثله قلوب الصوفية — ان كانت لهم قلوب !!

يقول تعالى : « **قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • سيقولون لله ، قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون** »[٨٠].

هذا دين الجاهلية •• ولكن الله لعنهم لعنا كبيرا بشركهم ؛ لأنهم أشركوا بالله فى الهيئة ؛ فتضرعوا الى غيره بالدعاء ••

أما الصوفية •• فتدين بالقتلة والمجرمين ؛ وأوغاد الفاحشة أقطابا يتصرفون فى الوجود ، ويسيطرون بقهرهم على سنن الله الكونية ونواميس الوجود التى فطرها الله وحده ؛ وهو الذى يصرفها وحده ؛ ويتحكمون فى أقدار الله فلا ينفذ منها الا ما يشتهون !!

فأى الشركين أطغى بغيا ؛ وأخبث رجسا ؟

لقد وحدت الجاهلية الله فى ربوبيته ؛ وأشركت به فى ألوهيته •• أما الصوفية ، فنفتهما عنه ، وأثبتتهما للمذاليك الصعاليك •• بل انحدرت حتى نفت وجود الله الحق ، ونعتته بالعدم الصرف !!

أفيمكن أن يقاس الحاد الصوفية بشرك الجاهلية ؟ !

أم ترى هذا ليلا غاسقا •• وترى الالحاد الصوفى دياجير تطغى وتتراكم وتطول ، حتى لا يعرف الأبد فيها بدايته أو منتهاه »[٨١] ؟ !

* * *

● ويحدثنا فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى عن بدع الطرق الصوفية فيقول جزاه الله خيرا :

« من هذه البدع : اعتقاد الكمال فى المشايخ وأنهم لا يخطئون ؛

---

(٨٠) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩

(٨١) هذه هى الصوفية ؛ للأستاذ عبد الرحمن الوكيل ؛ ص ١٣٥

وأن من اعترض انطرد .. حتى لو كان الاعتراض على معصية شرعية ، لأنهم حسب زعمهم ظاهرا وباطنا ، والأشياخ عندهم قد تعصى ولكن الأرواح باقية على طاعتها ، وأن الولى يملك أربعين شخصية !!

وكل هذا من الضلال والشرك والكفر الصريح عند من يعتقده فى نفسه أو فى غيره .. فكل بنى آدم خطاء ، والعصمة لرسل الله ، والكمال المطلق لله وحده .. وكان الرسول ﷺ يقول لصحبه : « اذا نسيت فذكرونى » ..

« ومنها اعتقاد النفع والضر فى المشايخ .. وأنهم يملكون تصريف الكون .. بل يعتقد بعض المريدين أن بعض الأولياء يخرجون بعد موتهم من القبور لقضاء مصالح الناس بأجسامهم !! ، وينسبون ذلك لمثل الشيخ الشرقاوى وأنه كان يذهب كل يوم من قبره لابنته ويشترى كل شىء من السوق ثم يذهب لقبره !! .. مع أن سيد الخلق نفسه — ﷺ — لم يفعلها قط !!

« ومن البدع قولهم « يجب على المريد أن يكون بين يدى شيخه كالميت بين يدى المغسل يوجهه كيف يشاء » !!

وفى هذا الغاء للشخصية .. مع أن سيد الخلق — ﷺ — كان يعلم الصحابة ويقول : « سلونى ما شئتم .. فانما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم » .. ويقول تعالى : **« فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون »**[٨٢] .

« ومن بدعهم : لبس المرقعات ، والملونات ، والعمائم الحمراء والخضراء والسوداء .. الى آخر ما يصنعون ، وما هذه الا عينات مما يصنعون !!

« ومنها : وضع السبحة فى العنق ، وحملها فى اليد من غير ذكر .. بل لمجرد الشهرة ولفت الأنظار !!

---

(٨٢) النحل : ٤٣ ، والأنبياء : ٧

« ومنها : الطواف فى البلاد على المريدين لا باسم التعليم والارشاد لأمور الدين ، ولكن لجمع تبرعات وفرض أتاوات ترهق الناس •• موهمين البسطاء أن الامتناع عن الدفع سيعرض المنزل كله للخراب — خراب الديار وقصف الأعمار — ومثلهم فى ذلك مشهور : « قطع الوراید ولا قطع العوايد » !! •• أى أن قطع الوريد والتعرض للموت أهون من قطع العادة فى الدفع للمعلوم » !!

ويقول فضيلته : « ومن مصائبهم •• تفضيل أوراد المشايخ عن كتاب الله ، فتراهم يحفظون الورد مع طوله وعرضه جيدا من كثرة تكراره •• ومعظمهم لا يحسن حفظ سورة من قصار السور !! وهذا أقصى أنواع الحرمان والخزلان •• فايثار أى كلام على كلام الله شقاء وتعاسة ••

« ومن بدعهم •• كتابة الأحجبة والتعاويذ ، وياليتها بالمأثورات الاسلامية •• ولكن قد يكتب فيها أسماء الجن والأصنام •• وقد تبرأ الأئمة من ادعاء العصمة ، وقال أبو يزيد البسطامى : « لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى طار فى الهواء ، أو مشى على الماء[٨٣] •• فلا تغتروا به حتى تنظروا اليه عند الأوامر والنواهى والحدود الشرعية » •• ومثل ذلك قال أبو القاسم الجنيد ••

« ومنها — أى هذه البدع — : اللحن فى أسماء الله عند الذكر ، والتشويش به فى المساجد ، واللعن فى بقية الفرق كأهل النار : « **كلما دخلت أمة لعنت أختها** »[٨٤] •• فكل فرقة تدعى أن طريقها الصواب وغيره هو الخطأ !!

« ومنها : الرقص ، والتصفيق ، والصفارة ، والتهريج •• وقولهم : « العبرة بالقلوب » •• وقولهم : « بيض قلبك وامشى فى ظلها » •• وقولهم : « اذا زادت المحبة سقطت شروط الكلفة والأدب » !!

---

(٨٣) وهذا طبعا من قبيل التمثيل والمبالغة فيه ، فالعقل يحيل أن يطير انسان فى الهواء أو يمشى على الماء .. وما رأينا انسانا يفعل ذلك الا فى ادعاءاتهم ..

(٨٤) الأعراف : ٣٨

« ويزعمون أن المتصوف يمكنه أن يصل الى حالة يصل فيها الى الله فيسقط عنه التكليف .. مع أن الله قال لرسوله ﷺ : « **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** »[٨٥] .. أى الموت ..

وقال عن عيسى عليه السلام : « **وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا** »[٨٦] .. فكأنهم يزعمون أنهم أعلى شأنا من الرسل !!

ولقد سمع الرسول ﷺ أصحابه ذات يوم فى سفر يرفعون أصواتهم بالذكر فقال : « أربعوا على أنفسكم ، فانكم لا تدعون أصماً ولا غائباً .. ولكن تدعون سميعا بصيرا وهو معكم » .. وفى رواية : « هو أقرب اليكم من أعناق رواحلكم » ..

« والسنة : الذكر فى خفاء ، والانفراد فيه عن الخلق : « خير الذكر الخفى » .. ويقول تعالى :« **واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** »[٨٧] ..

« ومن شركهم : أوامرهم لمريديهم أن يلاحظوا مشايخهم فى أثناء الذكر .. وأن يكون المريد مغمض العين ، ولكن قلبه لابد أن يلاحظ صورة شيخه ليستمد منه المدد ومن رجال السلسلة كلهم والأقطاب والأوتاد والخلفاء والنقباء »[٨٨] ا هـ

* * *

---

(٨٥) الحجر : ٩٩ (٨٦) مريم : ٣١

(٨٧) الأعراف : ٢٠٥

(٨٨) هذه دعوتنا ، للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ، نشر دار الاعتصام ، ص ٢٣٧ — ٢٤٢ بتصرف ..